

ضاربين أمثلة خالدة على قوة عزمهم وصلابة بأسهم

الغوص على اللؤلؤ.. مهنة الأجداد وتوارثها الكويتيون كابراً عن كابر



اعتمد الكويتيون في رزقهم قديماً على مهن عدة منها مهنة الغوص للبحث عن اللؤلؤ التي تعد من أخطر وأشق المهن التي مارسوها بغية استخراج اللؤلؤ من سواحل الخليج لبيعه والمتاجرة به، مواجهين بذلك أخطاراً شديدة وضاربين أمثلة خالدة على قوة عزمهم وصلابة بأسهم.

كان الغواصون يعتمدون على النجوم لمعرفة الطرق إضافة إلى البوصلة

”

تتوزع مهام العمل على السفينة بين المجدمي والسبب والنهام برئاسة النوخة

”

” سمو الأمير يدعم قيام النادي البحري بتنظيم رحلات غوص سنوية للشباب

” مهنة الغوص ازدهرت في عهد سمو الأمير الأسبق الشيخ مبارك الكبير

والمسؤول عن العمل والغواص والسبب اللذين تم ذكرهما سابقاً و(النهام) وهو الذي يشد اهاليزج وغانسي تسليهم وتهون عليهم المشاق والطباخ وآخرين من صغار السن يقومون بأعمال خفيفة ويراسهم جميعاً (النوخذة) وهو الريان وصاحب أكبر نسبة من المحصول ونائبه المسمى (الجعدي).

انتهاء الموسم

أما «الطواشي» فهو التاجر الذي يجوب البحر بسفينة يشتري اللؤلؤ من الغواصين وقد يبيعهم مؤناً مثل الأرز والسكر والشاي والتمر وامتلك بعض هؤلاء التجار خبرة عظيمة في معرفة اللؤلؤ وأشكالها وأنواعها وسافروا إلى دول عدة لبيعها مثل البحرين وسوريا وتركيا حتى أن بعضهم وصل إلى باريس ولندن. وعلى عكس الحياة في سفينة الغوص ويفضل الثروات التي يكونها الطواشي تتميز الحياة على سفينة بالراحة التامة حيث العمل غير مضمّن وماء الشرب نظيف والاكل فاخر والخدم والمساعدون متوفرين. ويعتبر انتهاء موسم الغوص أو ما يعرف بـ «القفال» بمثابة العيد في الكويت وفي دول الخليج. إذ تعود الحركة والنشاط في الأسواق ولدى الناس الذين طال انتظارهم لأهلهم وأحبابهم المسافرين للغوص الا انه يكون حزناً وتعاسة لدى البعض ممن يتلقون نيا موت أو إصابة أحد اقربائهم بجروح. وكان هناك تقليد شعبي قبل القفال يخرج فيه النسوة مع الأطفال وهم غالبيت من بقي في البلاد إلى شاطئ البحر ليلا ومن يغنين أغاني لا تزال ذكراها تتردد وتدعو كلماتها إلى عودة ابنائهم وأزواجهن وأقاربهم المسافرين في رحلة الغوص. وإشارات الكثير من الكتب المحلية والعالمية بمهنة الغوص في الكويت ورجالها وصورتها أفلام سينمائية وثائقية عدة منها فيلم «بس يا بحر» الذي ترجم للغات عدة ونال جوائز عالمية. وبدعم من سمو أمير البلاد يقم النادي البحري الرياضي الكويتي رحلات غوص سنوية للشباب شبيهة برحلات الماضي لإحياء ذكرى الغوص التي تعد جزءاً من تراث الكويت وتاريخه ولإشادة بدور الأباء والأجداد الذين عملوا بجد وضحوا من أجل بلدهم.



عدم توافر العلاجات اللازمة واعتماده على الكي بالنار أو بعض الأعشاب للاستشفاء. وقد تصيب الغواصين بسبب طول مكوثهم في البحر أمراض جلدية كالتسلخات وكمرض (السمط) الذي يؤدي إلى تعفن الجلد وظهور الطفح القروح عليه وقد يصاب بعضهم في قاع البحر بتشنجات لا يستخدمون لعلاجها سوى قراءة آيات من القرآن الكريم والدعاء. ومن أخطار البحر الأخرى التي يتعرض لها الغواصون الإسماع الخطرة لاسيما سمك القرش الذي التهم الكثير منهم وتسبب بإصابة آخرين بجروح وعاهات أقعدتهم عن كسب العيش وتركت في نفوسهم أشد الذكريات حزناً ولما. وبعد انتهاء عمل الغواصين عند غروب الشمس يتناولون عشاءهم المكون عادة من الأرز والسمك بعد يوم طويل مضمّن لا يتأولون خلاله سوى القليل من التمر والشاي والقهوة ويعد صلاة العشاء يغطون في نوم عميق من شدة التعب غير مكترفين لعدم توافر فرش وغطية ولا إلى صغر مساحة المكان. وتتوزع مهام العمل على ظهر السفينة ما بين (المجدمي) وهو رئيس البحارة

الرمق الأخير

وقد ينتهي نفس الغواص في قاع البحر أو بين القاع والسطح فيخرج في الرمق الأخير وبحالة غيبوبة تسمى بالعامية (السا) مما يدفع بزملائه إلى النزول اليه ليحملوه على ظهر السفينة كي يرتاح وقد يموت بسبب ذلك لاسيما عندما يكون القاع عميقاً جداً ولا ينتبه الغواص لذلك. وقد تنفجر طيلة أذن الغواص بسبب الضغط القوي في القاع ويخرج الدم منها مما يسبب له الماشدداً يمنعه من مواصلة عمله خصوصاً مع

وازهرت تلك المهنة في عهد أمير الكويت الأسبق الشيخ مبارك الكبير الذي امتد حكمه من عام 1895 إلى 1915 واستمرت فيما بعد إلى أن بلغت نهايتها مع قيام الحرب العالمية الثانية وعند ظهور اللؤلؤ الصناعي واكتشاف النفط. وقد امتهن الكويتيون الغوص بكل أطيافهم حضراً وبدوا ومن كل مناطق بلادهم وحظي الغواص في المجتمع الكويتي قديماً بمكانة عالية بين الناس وكان ينظر إليه باعجاب واحترام ولا يزال يشار بالبنان إلى أبرزهم وتذكر اسمائهم وأعمالهم في الكتب والمحافل والمناسبات. وكان الكويتيون يخرجون للغوص في مواسم محددة وابعاد مختلفة على ظهر سفن خشبية شراعية تعددت مسمايتها ما بين (بقارة) و(بوم) و(جالبوت) و(سنيوك) و(شوعي) بحسب أشكالها وأحجامها وكانت تصنع محلياً بحرفية تضاهي أعظم السفن الخشبية آنذاك.

قاع البحر

كانت تلك السفن تنتقل في رحلاتها ما بين أماكن الغوص المختلفة المنتشرة في دول الخليج العربي والسماة بالهجة العامية (المغاص) وجمعها (مغاصات) أو (الهير) وجمعها (هيرات)، ومنها ما هو عميق جداً ومنها ما هو عميق ومتوسط وضحل وتتباين تربتها ما بين طينية ورملية ويابسة. ويبدأ موسم الغوص الرئيسي في شهر مايو من كل عام وينتهي في آخر سبتمبر، حيث يمكن تحمل برودة قاع البحر إلا أن هناك مواسم أخرى تكون قصيرة ومنها (الخانجة) أو (باكورة) لأنها تسبق الموسم الرئيسي وفي شهر ابريل وأخرى يسمى (الردة) ويكون في شهر اكتوبر و(الرديدة) في نوفمبر.

قوة عزيمة

وعرف الكويتيون منذ القدم بخبرتهم الواسعة في أمور البحر من صيد وملاحة وإبحار واطفروا قوة عزيمة وشدة بأس وتحمل في مهنة الغوص على اللؤلؤ بما حملوه من تعب ومشاق ومجاهدة ومخاطر مستخدمين بذلك أبسط الأدوات والمعدات. ولم يكونوا يحملون معهم من أدوات الغوص شيئاً فلا يرتدي الغواص آنذاك سوى سروال قصير أسود اللون

